تقديم مخطوط: " مَسَائِلِ التَّحْقِيقِيَّةِ فِي بَيَانِ التُّحْفَةِ الآجَرُّومِيَّة "

للشيخ أمحمد بن يوسف أطفيش(ت 1914)

أ.رشيد حيدرة جامعة مستغانم

ملخص الموضوع:

يتناول هذا البحث بطاقة فنّية توصيفية لمخطوط " **مَسَائِلِ التَّحْقِيقِيَّةِ فِي بَيَانِ التُّحْفَةِ الآجرّومية** " الذي ألّفه الشّيخ العالم الجزائري **أمحمد بن يوسف أطفيش (ت 1914)**، حيث شرح متن الآجرومية التي سبقه إليها علماء المشرق والمغرب، لكنه لم يسِرْ على خُطاهم في كثير من الآراء النحوية، واتخذ لنفسه مذهبا وسطا يخلو من التعقيد والتكلف، فجاء المصنَّف واضحا بسيطا مفيدا لطلاب المدارس آنذاك.

وقد بدأتُ هذا البحث بمقدمة فيها حديثٌ عن فائدة هذا الكتاب ودوافعِ صاحبه في تأليفه، وكذا التعريف به، وإثبات نسبته إلى صاحبه، ثم انتقلت إلى موضوع الكتاب، وكذا سبب تأليفه، متطرقا إلى منهجية الشّيخ أطفيّش في التأليف التي خالف بها غيره من النحاة، واتخذ لنفسه مذهبا جديدا في النحو لم يسبق إليه، ثم خاتمة فيها بعض فوائد الكتاب ومنافعه لمن يريد قراءته من طلبة العلم، عسى أن ينتفع بما جاء فيه، والله الموفق وهو يهدي السبيل.

الكلمات المفتاحية: اطفيش – النحو – الآجرومية

Abstract

This research deals with a technical and descriptive card of the grammar manuscript "Masail attahqiqiya fi bayan attuhfa al-ajurrumiya" written by the algerian religious Alim sheikh Mhammad ben yusuf T'fayech (1914) where he explained "Al-ajurrumiya" but other religious ulama from East and West had done the same job before him, however he did not follow in their footsteps in terms of many grammatical opinions. He instead adopted a compromise doctrine free of complexity and sophistication. His explanation therefore came clear, simple and beneficial for student of that time.

I actually began this topic by tackling the benefits of this manuscript, the author motives in compiling such a book, introducing him, moreover confirming his ownership of the book. Next, I moved to the topic and the reasons behind editing such a book highlighting the methodology followed by sheikh T'fayech totally different from that of the other grammarians. His new way of thought was really unprecedented.

Finally, the conclusion contains some advantages and benefits for ilm seekers who wish to read this book which might be of a great use for us all.

May Allah give us tawfeeq for it is He who guide to the right path.

***Key words**:*

Key words: T'fayech – Grammar - Al-ajurrumiya

تقديم:

نالت المقدمة الآجرومية لابن آجرّوم الصنهاجي -على غرار متن الألفية لابن مالك- ما لم ينَله أيُّ مصنّف آخر في بابه من عناية العلماء بها قديمًا وحديثًا، من شروح ونظم وتعليقات وحواشٍ على الشروح، من إعرابٍ لألفاظها، ونظمٍ لمنثورها، وشروح لمنظومها، ومن تصدي العلماء لتعليمها، وإقبال الطلاب على تعلُّمِها، إذ قلَّ أن تجدَ نحويًّا لم يُصنِّف كتابًا ذا صلة بها، أو لم يتصدَّرْ لتدريسها، أو لم يُشِر إلى مسألة من مسائلها؛ كونُها من بين أُولى اللَّبنات التي ظهر لها الفضلُ في التقعيد للنحو العربي، كانت على مدى قرون طويلة من أُسُسِ المناهج التعليمية في المدارس القرآنية، والكتاتيب الجزائرية ومازالت، تُدرّس جنبا إلى جنب مع كتاب الله العزيز الحكيم.

وقد شغلت الكثير من علماء النحو واللغة المتقدمين والمتأخّرين، وخاصة الجزائريين منهم، وذلك بسبب كونها جامعة مانعة لمبادئ النحو العربيّ بإيجاز وسهولة ويسر، فعكفوا على شرحها وإعرابها وتفسيرها ونظمها، وتثليث نظمها[1]، وتخميسه[2] مما يتعذر حصره على مدى القرون الطويلة التي واكبت تطور العلوم النحوية العربية، حتى بلغت شروحها العشرات بل والمئات، ما بين مختصر مقتضب، أو مفسّر مسْتسهب، وقد كان طلاّب العلم في المساجد والكتاتيب مُلزَمين بدراستها وحفظ متنها، بمجرّد ختم كتاب الله حفظا وتفسيرا، وذلك لما فيها من السهولة في الحفظ، والبساطة في الشّرح، والإجمال قبل التفصيل، مما لا تتوفّر عليه المتون قبلها أو بعدها.

ومن بين العلماء الجزائريين النحاة الذين أدلوا بدلائهم في هذا المضمار – وهم كُثرٌ- الشيخ "أمحمد بن يوسف أطفيّش- من خلال مصنَّفه "مَسَائِلِ التَّحْقِيقِيَّةِ فِي بَيَانِ التُّحْفَةِ الآجرّومية " حيث يُعدّ هذا الكتاب صخرة أخرى في بناء صرح اللغة العربية في العالم العربي عامة، والجزائر خاصة، وهو بمثابة الكتاب المدرسي في عصرنا للمرحلة الثانوية، ولأجل هذا تمّ تأليفه كما جاء على لسان صاحبه للمبتدئين، ودليل ذلك قوله: (فإن التطويل قد أخذنا منه حظنا والحمد لله، وأما الاختصار والاقتصار فهذا أوان الشروع فيهما، تخفيفا على المبتدئ بشرح الآجرّومية)[3]، وشتّان بين مبتدئ الأمس ومبتدئ اليوم، فإنّ أسلوبه وطريقة عرضه لأفكاره، ودراسته للمسائل النّحوية، لتستعصي – لتشعّبها وتركيزها- حتّى على المتخصصين، فلا هو بالمقتضب المُخلّ، ولا بالمُطْنِبِ المُملّ، يقدّم إلى التلاميذ بغرض دراسة النحو العربي انطلاقا من أشهر ما أُلِّف في باب النحو، وأقصد بذلك متن الآجرّومية. وفي هذا المقال تعريف بهذا المؤلَّف من خلال بطاقة فنية مقسمة على النقاط الآتية:

أولا – التعريف بكتاب مسائل التحقيقية في بيان التحفة الآجرومية:

بدأ الشّيخ أطفيّش كتابه على عادة كلّ مؤلّف إسلامي، بالبسملة، ثمّ الصلاة والسلام على رسول الله سيّدنا محمد (عليه الصلاة والسلام)، ثمّ مقدّمة بسيطة من الناسخ، نسَبَ فيها الكتابَ لصاحبه وأثنى عليه بما هو أهل له، ثم شرع الشيخ أطفيش في التقديم لكتابه، بذكر الهدف منه، وهو كما قال: " تخفيفا على المبتدئ بشرح الآجرومية" [4] ثم منهجه في التأليف بقوله: "شرحا أذكر فيه قولا واحدا من الأقوال، أو لغة أو احتمالا أو اثنين من ذلك، وربما ذكرت أكثر"[5].

وبعدها، انتقل إلى سرد معلومات وافية عن الآجرّومية ومؤلّفها، حيث ذكر معنى اسمه، وتاريخ ميلاده ثمّ مكان تأليف كتابه، وكذا التاريخ الذي كتبت فيه، ووفاته، وشيء من رحلاته، ومحلّ دفنه، مما يدّل على اطّلاعه بالكثير من التفاصيل المتعلّقة بمؤلّف الآجرومية وصاحبها على عادة البحوث الأكاديمية العصرية التي تقدّم للمؤلِّف بنبذة عن حياته وبعض أعماله.

وبعدها، بدأ في شرح متن الآجرومية، غير غافل حتّى عن التفصيل في شرح البسملة، ومن الواضح أنّها ليست من صميم نحو الآجرومية، لكنه لم يجد بُدًّا من الإسهاب في شرحها، وتبيان أوجه إعرابها، وكذا الحال في الصلاة والسلام على الرسول الكريم (عليه الصلاة والسلام).

ثانيا – تسمية المخطوط ونسبته لمؤلّفه:

يتّضح أنّ اسم كتاب " مَسَائِلِ التَّحْقِيقِيَّةِ فِي بَيَانِ التُّحْفَةِ الآجرّومية " لا يفتأُ مذكورا إذا تعلّق الأمر بتعداد مؤلّفات الشّيخ أطفيّش اللغوية، وقد أثبته كثيرون من أمثال:

– مصطفى بن الناصر وينتن في رسالة الماجستير الموسومة بـــ "آراء الشيخ أمحمد بن يوسف أطفيّش العَقَدية".وذكر أنّها " المَسَائِلُ التَّحْقِيقِيَّةُ فِي بَيَانِ التُّحْفَةِ الآجرّومية"، مخطوط في مكتبة القطب، تحت رقم (5–12)[6].

– وروده ضمن المؤلفات النحوية في ترجمة الشّيخ أطفيّش في معجم أعلام الإباضية[7].

– ذكره يوسف بن بكير في كتابه: تاريخ بني مزاب، ضمن مؤلّفات الشّيخ أطفيش النحوية[8].

– النسخة الأصل مصدّرة بمقدّمة تُثبت نسبته إلى صاحبه حين جاء فيها على لسان الناسخ الشّيخ حمّو بن باحمد باباو موسى قوله: "هذا شرح متن الآجرّومية في علم العربية للشيخ العلامة، والحبر الفهامة شيخنا وفريد عصره، الحاج أمحمد بن الحاج يوسف أطفيّش الإباضي أمدّه الله بعونه، ونفعنا بعلومه آمين يا رب العالمين"، حتّى يقول على لسان الشّيخ اطفيّش: "وسميته: بمَسَائِلِ التَّحْقِيقِيَّةِ فِي بَيَانِ التُّحْفَةِ الآجرّومية[9] ".

– ورد اسم المخطوط في فهرس المخطوطات فيما أثبتته الباحثة " عائشة يطّو " في رسالتها المعنونة بـــ: " الكافي في التصريف " تحقيق ودراسة، حيث طالعَتْ نسخة منه، واعتمدَت عليه في بعض الإحالات النّحوية ، وقدكان في متن الشّيخ بعض منها يعزوها إلى كتابه، ومن ذلك قوله على سبيل المثال: " وفي هذا الفصل، مباحث ذكرتها في النحو" وقد راجعت الإحالات في الصفحات: 89–117–130 منه. [10]

كما أنّ الشّيخ في كتابه " مَسَائِلِ التَّحْقِيقِيَّةِ فِي بَيَانِ التُّحْفَةِ الآجرّومية " كثيرا ما يشير إلى الرجوع في الإحالات إلى باقي تآليفه كقوله على سبيل المثال: " فانظر ما ذكرت في تفسيري "[11] ويقصد تيسير التفسير الكتاب المشهور، وقوله: " وهنا مباحث ذكرتها في علم الخط "[12] ويقصد كتاب الرسم في تعليم الخط.

بقي أن أشير إلى الخطإ البسيط في التسمية، حيث إنّ من يذكر المخطوط، يُسمّيه بـــ" المَسَائِلِ التَّحْقِيقِيَّةِ فِي بَيَانِ التُّحْفَةِ الآجرّومية "، بإضافة "ال" إلى "المسائل"، لكنّني تأكّدت من عدم وجودها في الكتاب الأصلي، حيث سمّاه بـــ" مَسَائِلِ التَّحْقِيقِيَّةِ فِي بَيَانِ التُّحْفَةِ الآجُرُّومِيّة " على اعتبار أنّ "التَّحقِيقِيَّة" مصدر صناعي يقصد به أهل التحقيق من العلماء، ولا يقصد به صفةً لـــ"مسائل" والله أعلم.

ثالثا – موضوع الكتاب:

لا يختلف موضوع هذا الكتاب عن الكتب السّابقة التي أُلِـــّفت في بابه، فهو مؤلّف في النحو، يشرح متناً مقتضبا، ويفسّر ما انغلق منه، ويوازن بين الآراء، ويرجّح أحدها، ويُبطل الآخر، إنّه شرح لمتن في النحو، لكنّه ليس مقتصرا عليه فقط، ففيه الكثير من المسائل اللغوية والصّرفية والإملائية والفوائد والطرائف وغيرها، وليس موجّها لعامة الناس، بل لفئة المتعلّمين، التي يقتضي التأليف الموجّه إليها عناية خاصة، من سهولة في التعبير، وبساطة في الشّرح وما إلى ذلك.

رابعا – سبب تأليف الكتاب:

يبدو جليا أن الشّيخ أطفيّش كان على اطّلاع بأسباب تأليف هذا الكتاب، وقد وضّح هذه الأسباب بين طيّاته، هذا مما قاله صراحة أو أشار إليه من بعيد، فمن بين أهمّ الأسباب التي دعته إلى الكتابة أن يكفي النّاسَ مؤونة التأليف، حتّى يلتفتوا إلى إصلاح دينهم ودنياهم ومعاشهم، إذ إنّ كثرة المؤلّفين في زمنه، كان يراها زائدة عن الحاجة، لذا فقد كانت كتبه كلّها جامعة مانعة، كبيرة الحجم، كثيرة الأجزاء،

حتّى لا يُرى فيها وجه نقص أو عيب، يدرُسُها التلاميذ، لا يلتفتون إلى غيرها[13].
أمّا ثاني أسبابه التّي صرّح بها، فقد كانت كما جاء على لسانه في الورقة الأولى من المخطوط، " التسهيل على المبتدئ "[14] وهو غايته القصوى، حيث أزاح عنه مشقّة التنقّل بين الشروح المختلفة والضياع بين أوراقها، وحاول أن يجمعها في شرح واحد جامع مانع؛ يتطرّق إلى الشّرح اللغوي، والميزان الصّرفي، والتفسير القرآني (في الكثير من المواضع) والقواعد الإملائية، إضافة إلى شرح الظاهرة النحوية التي وُضع من أجلها هذا الكتاب، "اعتمادا على منهج المقارنة والترجيح، فنجده يسرد أسباب الخلاف، والقول الرّاجح، ويعلن رأيه بكلّ صراحة وموضوعية ووضوح، حتّى ولو خالف فيه أئمّة النحو، مما لا يتوافر في غيره من الشروح".

خامسا – منهجية الشّيخ أطفيّش في التأليف:

يمكن حصر منهجية الشيخ أطفيش في ترتيب أبواب الكتاب، في النقاط الآتية:

1. عنوان المخطوط يشير إلى منهج الشيخ أطفيش في شرحه، فـــ " مَسَائِلُ التَّحْقِيقِيَّةِ فِي بَيَانِ التُّحْفَةِ الآجرّومية " إضافة إلى كونه شرحا لمتن الآجرّومية، فهو عبارة عن نتائج توصّل إليها الشّيخ أطفيّش في شرحه، فهو يجمع أقوال النحاة من مذهَبَيْ الكوفة والبصرة، ثم يوازن بينها، وله في ذلك ثلاثة أوجه:

– ترجيح قول الكوفيين.[15]

– ترجيح قول البصريين.[16]

– الخروج بقول مخالف للمذهبين، مع تبيان أوجه العلة في قولهما، ثم تصويبه معتمدا على الأدلة والبراهين، وغالبا ما يتصدّر ترجيحه عبارة: " والتحقيق" أو

"والصحيح عندي" أو قوله: "وبعد؛ فإنّه ..." حتّى يُحضّر المتعلِّم لتلقِّي رأيه في المسألة، وإعلامه بأنّها اجتهادٌ منه، لا سَوقٌ لقول أحد.[17]

2. مخالفة عالم نحويّ بعينه، كما فعل مع أبي حيان في فائدة الخلاف حول الاستفهام بالاسم أو الفعل في قوله: " لا كما قال أبو حيان: لا فائدة له" [18] وربّما خالف عالما له باعٌ طويل في بابه، كالأخفش أو سيبويه، ويردّ على أقوالهم، ويفنّد آراءهم، وما ذهبوا إليه، ليعطي رأيه في المسأله، دون تردد ولا وجلٍ.

3. غالبا ما يتردد في المخطوط قول الشيخ أطفيش: "والتحقيق" أو: "وتحقيق ذلك" أو: "والصحيح" (19)، في إشارة إلى القول الفصل في مسألة الخلاف التي اتضح له صوابها. وهاهنا مجال آخر مستقل للبحث في آراء الشيخ أطفيش النحوية، فهي جديرة بالدراسة، وفيها من الفوائد النحوية والآراء الثابتة الشيء الكثير.

4. التمهيد لما سيأتي من القاعدة النحوية وشروحها، أو الاستغناء عن شرح سبق اجتنابا للتكرار، فمن الأول قوله: (وقيل المضاف إليه مجرور بحرف مقدّر هو "من" أو "اللام" أو "في" على ما يأتي إن شاء الله)[20]، ومن الثاني قوله: (وفي تقديمه ما مر في تقديم الفاعل).[21]

5. إغفال بعض الأمثلة من متن الآجرومية الأصلي، أو تجنّب تكرار التعاريف مع الإشارة إلى ذلك، كما هو الحال مع اسم "كان" وخبر "إن"، كونهما ذكرا في باب المرفوعات، فلا حاجة إلى إعادة ذلك في باب آخر.

6. تراوح الشّيخ أطفيّش -رحمه الله- بين مذهبي الكوفيين والبصريين، دون انحياز أو تغليب لأحدهما على الآخر، فقد وافق الكوفيين، لأنه عبَّر بالخفض[22] وبه قالوا،

وعبّر في أخرى بالجرّ[23]، وهو مذهب البصريين، وقال : الأمر مجزوم[24]. وهو رأيهم، وذكر في الجوازم "كيفما" اقتداءً بصاحب الآجرّومية [25]، والجزم بها رأي الكوفيين، وأنكره البصريون[26]، مما يجعله يأخذ أفضل ما بين المدرستين، أو هو موقف حياد.

7. الغالب لدى الشّيخ أطفيش في التقديم لبابه النحوي، أن يُمهّد له بالتفصيل في طريقة النطق به بالشّكل، وإثبات فتحته وضمّته، ثم يُتبعه بشرح لغوي وآخر اصطلاحي، يفتح به بعض ما انغلق من معانيه، ويحاول أن يربط تعريفه اللغوي بالتعريف الاصطلاحي كقوله في باب الإعراب:

الإِعْرَابُ بإسكان اللام، وكسر الهمزة، وهو الأصل، وبكسر اللام نقلا من الهمزة، وهو أخف بحذف الهمزة بعد نقل حركتها مصدر: أعرب، وأما الأَعراب بفتحٍ فسكّان البادية من العرب)[27]...ثم يضيف قائلا: (**الإِعْرَابُ** لغة التبيين والتغيير وإزالة عرب الشيء أي فساده والإيضاح والتكلم بالعربية، وإعطاء العربون، وولادة ولد عربي اللون، والتكلم بالفحش والرّد على الفحش وعدم اللحن، وإثبات الخيل العِراب للإنسان، وإجراء الفرس، والتزوّج أو لتعريف عن التزويج والتزوّج بالعروب، والتحبب إلى الغير، والتحسين والإعلام نحو: عربت زيدا أحوال الخيل، أي عرفته إياها، والنقل نحو: أعربت الدابة أي نقلتها. واصطلاحا على أنه معنوي تَغْيِيرُ المتكلم لِأَوَاخِرِ الكَلِمِ)[28].

فيمكن ملاحظة مدى إسهابه في الشّرح حتّى ليكاد يضاهي المعاجم اللغوية في التفصيل لاشتقاقات الكلمة ومعانيها، مما لا يتوفّر في الشروح الأخرى، وهذا من

حرصه على اللغة العربية، وإيصال الفكرة واضحة جليّة كما قال: "للمبتدئ" الذي لا يزال غضًّا طريّا في بناء فكره النحوي من تلاميذه وطُلاّبه.

8. اعتمادُه على ترتيب أبواب الآجرّومية الأصلي، دون تغيير يذكر منه، فكان يتّبع ما جاء في المتن كلمةً بكلمة، وعبارةً بعبارة، و لم يخرج عن هذا الترتيب إلاّ بضع مرّات كانت منه إغفالا لبعض أمثلة الآجرّومية التي لم يشرحها، أو سهوا، كتقديم شرح حرف "كي" عن "إذَن"، وقد أشار إلى تعديل ذلك عند من ينسخ مخطوطه مرّة أخرى حيث قال:

(وإنما قدمت "كي" سهوا، فمن أراد كتابة هذا الشرح فليؤخرها؛ ويؤخر الكلام عليها عن "إذن" وعن الكلام عليها).[29]

9. الاعتماد في كثير من الأحيان على التعريفات والحدود لغويّة أو اصطلاحية، وربّما تعدّاها إلى التعريفات الفلسفية مستعينا بالمنطق وغيره كقوله:

" والمعانيون يسمون المبتدأ والفاعل ونحوهما المسند إليه، والخبر والفعل ونحوهما المسند"[30].

والمنطقيون يسمون المبتدأ والفاعل ونحوهما الموضوع، والخبر والفعل ونحوهما المحمول[31]، إلا نحو: كل إنسان حيوان، فالموضوع هو إنسان، وكلّ سوّروا، إلا نحو: بعض الحيوان إنسان، فإن الحيوان موضوع، وبعض سوّروا المبتدأ الرافع لما يُغني عن خبره محمول لا موضوع، ومرفوعه موضوع".[32]

10. الملاحظ في منهجه، إخضاع متن الآجرّومية لتسلسل أفكاره، ودمجها مع أسلوبه في كثير من الأحيان، حتى لا يكاد يظهر الفرق بين كلامه وكلام صاحب الآجرّومية،

والأمثلة على ذلك من المخطوط كثيرة، ولعل هذا الذي دعا النّاسخ إلى كتابة متن الآجرّومية بلون مغاير للشرح ليظهر الفرق بينهما(33)، ومن أمثلة ذلك ما جاء في متن الآجرّومية في تعريف النكرة: (كُلُّ اسْمٍ شَائِعٍ فِي جِنْسِهِ)، وعبّر الشيخ أطفيش في شرحه بقوله:

(كُلُّ اسْمٍ شَائِعٍ) أي منتشر (فِي) أفراد (جِنْسِ) مدلول ـــــــــــ(ـــــهِ)(34).

فما كتب ثخينا (بين قوسين) هو من متن الآجرّومية، أمّا ما كتب (دون أقواس)؛ فهو شرح الشّيخ أطفيّش، ويمكن بوضوح ملاحظة التداخل بين هذا وذاك.

11. الإعراب ما استطاع إلى ذلك سبيلا، بما في ذلك إعراب عناوين أبواب الآجرّومية المذكورة في المتن على عادة الشّراح الأقدمين، مثل قوله: "وهو على قسمين: ظاهرٍ ومضمرٍ، بِجَرِّهما على الإبدال "(35)...الخ.

12. طريقة الشيخ أطفيّش في الشرح تعتمد على: ذكر المتن من الآجرّومية أوّلاً (وهو بلون مغاير في المخطوط تفريقا بينه وبين الشّرح)، ثمّ شرح مفرداته شرحا لغويّا بما يتناسب ومعناه الذي وُضع لأجله، وربّما بَيَّنَ أصل الكلمة في الميزان الصرفي، ثُمّ إعراب اللّفظة، وتبيان وجوهها. ومما تجدر الإشارة إليه هو عناية المصنّف بالمفردة من حيث الإعلال والإبدال والقلب والحذف، مما يدّل على طول باعه ورسوخ قدمه في فنّ التصريف، حتّى يبيّن أصل الكلمة، والطريقة التي استوت بها إلى ما هي عليه(36).

13. الاستناد على ذكر الأسباب التي دعت صاحب الآجرّومية إلى اعتماد ترتيب معيّن في تبويب مسائله النحوية، وذلك بإيجاد العلّة التي دعت إلى ذلك، معتمدا على

بعض المسلّمات المعروفة لغويّا كترتيب الحركات قوّة وضعفا، ومن تقديم المرفوع فالمنصوب فالمجرور فالسّاكن، وقياس ذلك على ترتيب الأبواب، أي أنّه يعتمد على طريقة إلغاء ما قد يُتوهّم من الاحتمالات، فحين يذكر قاعدة، أو شيئا من المتن، يتبعه بقوله: فيخرج (أي عن القاعدة) كذا وكذا لأسباب يعدّدها حتى لا يظن القارئ أن القاعدة المذكورة عامة(37).

14. اتفاقه مع ما جاء في متن الآجرّومية أحيانا، وتبيانه ما حَسُنَ منها كقوله: "حافظَ (يقصد المصنّف ابن آجرّوم) على فائدة الإجمال ثم التفصيل"(38)، واعتراضه عليه أحيانا أخرى بقوله: "ولو قال بكذا لكان أولى"(39).

15. الاعتماد على المنهج المقارن في الترجيح بين أقوال الكوفيين والبصريين، أو بين عالم نحوي وآخر، ويقدّم رأي أحدهما على الآخر، أو ربّما ألغاهما، وأثبت رأيه مدعّما إياه بالأدلة والشّواهد(40).

16. الاسترسال في الشرح والإسهاب، وربّما ابتعد بضع مرّات عن أصل الشّرح، ومن مثال ذلك حديثه في "باب الظاهر والمضمر" عما يجوز تذكيره أو تأنيثه في الأسماء كـــ (العقد والجحيم والنار والعصا والريح)...الخ(41)، وقضيّة انتقال واو "داود" إلى "عمرو" لتفريقه عن عمر(42)، وهو بعيد.

17. في المخطوط بعض فوائدَ ربما كانت بعيدة عن شرح متن الآجرومية، لكنّ الشيخ أطفيش أوردها في مكان مناسب لذلك، حتى يطردَ التعب والملل عن تلاميذه، بذكر أخبار مَن سبقهم من العلماء كقصّة الخليل مع تلميذه سيبويه(43)، وقصة الراعي الأندلسي بمسجد غرناطة بالأندلس(44).

18. ربما ذهب الشيخ وراء الوجوه الإعرابية والصرفية والبلاغية، بما يبدو للقارئ العادي، أنّه لا طائل من ورائها، وأنّه إذا تتـــبّع تلكُمُ الوجوهَ المختلفةَ ضاع منه المعنى، ويبدو أنّ انسياق الشيخ أطفيَّش رحمه الله وراء الاسترسال في التفسير اللغوي المتعمق جاء من فرط حبه للّغة العربية وولعه الشديد بها، كما ظهر من خلال تتبع مراحل حياته أنّه كان شديد الاهتمام بالدرس النحوي خاصة، فإذا هو يقلّب الآية أو الحديث أو البيت الشعري وحتّى المثال العادي على وجوه اللغة المحتملة، ويبدي رأيه، ويستظهر براعته في الدرس النحوي والصرفي واللغوي الشّرعي أيضا.

19. اعتماده في تقديم رأيه أو إثبات حكم أو إبطاله وترجيح غيره على مصطلحات التزم بها في كتابه نحو: والتحقيق – والصحيح — أعني – وهو أحسن– وبعدُ، وغيره.

20. لا يعزو الشيخ أطفيش في أغلب الأحيان الأقوال إلى أصحابها، فتكثر في كلامه صِيغ على شاكلة : وقال بعضهم، وقال بعض، وقيل، ونحوها (45)، وكثيرا ما أغفل المصنّف ذكر صاحب القول أو كنيته أو كتابه، ومن الواضح أنه اطلع على الكثير من الكتب المخطوطة التي لم تطبع أو التي فقد أثرها بعد ذلك.

21. الإحالة في أحايينَ كثيرةٍ إلى كتبه الأخرى المؤلّفة في أبوابٍ مغايرة للنحو، فتجده يقول: فانظر ما ذكرت في تفسيري(46)، يقصد كتابه " تيسير التفسير"، وهو كتاب في تفسير القرآن العظيم، أو "وقد فصّلت في غير هذا الموضع"(47)، وهو يقصد كتابه: " الرسم في تعليم الخط" وهو كتاب في فنّ الإملاء أيضا، أو غيره من الكتب كالكافي في التصريف أو ما لم يطبع منها إلى غاية يومنا هذا.

22. مخاطبة القارئ أو المتلقي أو التلميذ على عادة النحاة الأوائل بقوله: كما رأيتَ، فإن قُلتَ، فافهمْ، واعلمْ، وغيرها(48) ليحسّ أنه في الجو التعليمي والتعلّمي؛ إذ يرجو الشّيخ منه ما يرجوه الأستاذ من تلميذه.

23. لا يقتصر بحث الشيخ أطفيّش على المسائل النحوية فقط، بل قد يتطرق إلى الشّرح اللّغوي(49)، أو تفاسير الآيات(50) والأحاديث(51)، أو الميزان الصرفي للمصطلحات النحوية، أو المعاني المفردات وأوزانها(52)، وحتّى التطرق إلى المواضيع الفلسفية كالمنطق وغيره، ممّا يدّل على تمكّنه من العلوم المختلفة، فهو ملّم بها، ويدرج معرفته بين الحين والآخر في مخطوطه، مما يمكن أن يكون قاعدة أو بذرة لرسالة أخرى تعُنى باستقصاء هذه الفوائد، وإدراجها في بحث مستقلّ.

24. غالبا ما يختم بقوله: (والله أعلم)، تواضعا منه واعترافا بمحدودية علم الإنسان مقارنة بعلم الله الواسع.

25." مَسَائِلِ التَّحْقِيقِيَّةِ فِي بَيَانِ التُّحْفَةِ الآجرّومية " مؤلَّف بُني على مؤلّفٍ آخر في تقسيمه وترتيب أبوابه، وأقصد بذلك "متن الآجرومية " لابن آجروم الصنهاجي، لهذا فقد وجد الشيخ أطفيّش نفسَه مُلزما-عن طيب خاطر- باتباع هذا التنظيم لا يخرج عنه، فكانت المواضيع مرتّبة موافقة لما جاء في الآجرومية، لم يخرج عنها إلاّ سهوا، حين قدّم باب "كي" عن باب "إذن"، وأشار إلى ذلك، ثمّ أوصى بتصحيحه لمن يقوم بالنسخ مرّة أخرى.

نستنتج من هذه الملاحظة؛ مدى التزامه بالترتيب السابق، والذي يراه منطقيا، ولا يبدو خروجه عنه مُبرّرا بأيّ حال من الأحوال، حتّى إنه قال في ترتيب توابع

المرفوع: "واعلم أن هذه العلل النحوية مناسبات، ولو رتبها على غير ذلك الترتيب لبحثنا له على علة "[53].

وعلّق على ما جاء في الآجرومية: " **وَلِلجَزْمِ عَلاَمَتَانِ: السُّكُونُ وَالحَذْفُ** " قائلا:" لأنه لو قال: وللجزم الحذف، لتوهم أن المراد حذف الحرف فقط، ثم إنه لو قال: وللجزم الحذف، لكفى على كلا القولين "[54].

وخالفه في تعريف الإعراب فجعل العوامل موجودة قبل التغيير، فقال: "وإن قلت: إنّي مولع بالتقليد، فأجعل الاختلاف كما مر بمعنى الوجود، فيدخل المعرب في أول أحواله"[55].

ويقصد بذلك أنه يوافق من حيث الشّكل هذا الترتيب، ويجد له الأسباب المناسبة، ولو قام صاحب الآجرومية بتغيير الترتيب، لبحث الشيخ أطفيش عن تخريج له وتبيان لأسبابه.

وعلّق على عنوان **"الَّذِي يُعْرَبُ بِالحَرَكَاتِ أَرْبَعَةٌ أَنـــــوَاع"** من متن الآجرومية بقوله: "حافظ على فائدة الإجمال ثم التفصيل، وحرص على العدد خوف الزيد أو النقص".[56]

وقد اعتمد على هذه الطريقة في حصر العدد في بضعة مواضع كقوله: وهمزة " إيا" تكسر وتفتح وتقلب هاء مفتوحة ومكسورة، والياء تشدّد وتخفف، فهذه ثماني لغات قرأ بهن[57].

خاتمة:

رغم كون "مَسَائِلِ التَّحْقِيقِيَّةِ فِي بَيَانِ التُّحْفَةِ الآجرّومية" شرحا للآجرّومية، إلاّ أنّه لم يدُر في فلك ابن آجروم، و لم يتشبّع بأفكاره، بل كان للشيخ أطفيّش نوع من الاستقلالية في الحكم، والترجيح والمخالفة، ورغم موافقته ابن آجروم في الكثير من المسائل الخلافية، إلا أن هذا لم يمنعه من الاعتراض على بعض تعاريفه وحدوده، وكان تأثر الشّيخ أطفيّش واضحا، حيث اتفق مع النحاة على المسمّيات والمصطلحات النحوية، فلم يقم بترجيح أحد المصطلحات المتداولة على آخرَ، بل ساقها على سبيل الحصر لا غيرَ؛ كما اتفق معهم في بعض المواضع، وخالفهم في مواضع أخرى، وربّما جمع بين رأي المتخالفين، وله في ذلك أدلة وشواهد، وربّما رفضها جميعا، واختار لنفسه مذهبا مغايراً تماماً.

والواضح مما سبق، أنّ الشيخ أطفيشّ غالبا ما كان يعمد إلى التبسيط في القواعد النحوية، ويؤثر ما كان أقرب إلى الفصاحة، وأسهل توافقا مع السليقة، ذلك أنه لا يميل إلى اعتماد الآراء التي تشتّت الذهن وتبعد الفائدة، بل الملاحظ أنه يسهّل على طالب العلم، رغم تشعّب الآراء وكثرتها كثرة مفرطة.

كما أنه لم ينحَزْ إلى مدرسة نحوية معيّنة، و لم يأخذ برأي أيٍّ من النحاة السابقين على سبيل الأصوب، بل إننا لو تمعّنا في آرائه النحوية، لوجدنا أغلبها يتأرجح بين الكوفيين أو البصريين، ولا غلبة لأحدهما على الآخر، بخلاف كثيرين ممن أخذوا فكر مدرسة معيّنة ومشوا على أساسه.

ومهما تعمّق الباحث في دراسة هذا المؤلَّف وإجلاء كوامنه، إلاّ أنّه مازال يحوي في طيّاته الكثير، فهو متعدّد الاختصاصات لا منحصرٌ على شرح الآجرومية فقط، مَعين لا ينضب إذا حظي بالعناية والاهتمام، ليكون بذرة بحوث أخرى لدراسة آراء الشّيخ أطفيّش النحوية في بحث مستقلّ، فيكون أجدرَ وأولَى.

الهوامش:

(1) التثليث هو أن يضاف للبيت الواحد من الشّعر لازمة كشطر في نهايته، إمّا للشرح أو التعقيب، فيكون مجموع الأشطر ثلاثة، ومنها التسمية.

(2) التخميس هو إضافة بيت شعريّ آخر للنّظم، ثم تلك اللازمة المذكورة آنفا، فيكون المجموع خمسة أشطر، وسمّيت بذلك تخميسا.

(3) ينظر:" مَسَائِلِ التَّحْقِيقِيَّةِ فِي بَيَانِ التُّحْفَةِ الآجرّومية " للشيخ أمحمد بن يوسف أطفيش (ت 1914)، تحقيق: حيدرة رشيد، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران /2013م، ص 42.

(4) المصدر نفسه ص 62.

(5) المصدر نفسه ص62.

(6) آراء الشيخ أمحمد بن يوسف أطفيّش العَقَدية، مصطفى بن الناصر وينتن، تنسيق وإعداد: محمد بن موسى بابا عمّي- مصطفى بن محمد شريفي، نشر جمعية التراث، ط 1996م، ص47.

(7)معجم أعلام الإباضية من القرن الأول إلى العصر الحديث، قسم المغرب الإسلامي، الأستاذ محمد بن موسى باباعمي وآخرون، جمعية التراث، لجنة البحث العلمي، دار الغرب الإسلامي، ط2000 م، ج2، ص 399.

(8) تاريخ بني مزاب، يوسف بن بكير في كتابه ضمن مؤلّفات الشّيخ أطفيش النحوية تحت رقم: 14 في الصفحة: 186.

(9) يتردد ذكر اسم المخطوط على أنه: " المسائل التحقيقية " في كتب الفهرسة والتراجم، لكنّ الصواب هو ما جاء في المخطوط نفسه، حيث ذكر صاحبه أنه أسماه بـــ" مسائل التحقيقية في بيان التحفة الآجرّومية".

(10) ينظر: الكافي في التصريف للشيخ محمد بن يوسف أطفيش (ت 1914م)، تحقيق ودراسة: عائشة يطو، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية، جامعة وهران،2001م-2002م، ص 321.

(11) ينظر:" مَسَائِلِ التَّحْقِيقِيَّةِ فِي بَيَانِ التُّحْفَةِ الآجرّومية " للشيخ أمحمد بن يوسف أطفيش (ت 1914)/ تحقيق: حيدرة رشيد/ ص144 .

(12) المصدر نفسه ص 158 .

(13) ينظر: آراء الشيخ أمحمد بن يوسف أطفيّش العَقَدية/ مصطفى بن الناصر وينتن/ ص35-36.

(14) ينظر:" مَسَائِلِ التَّحْقِيقِيَّةِ فِي بَيَانِ التُّحْفَةِ الآجرّومية " / تحقيق: حيدرة رشيد/ ص178.

(15) المصدر نفسه ص 77-102-144-152.

(16) المصدر نفسه ص 144-158.

(17) المصدر نفسه ص 66-7-72-147.

(16) المصدر نفسه ص 207.

(19) المصدر نفسه ص 199.

(20) المصدر نفسه ص 399.

(21) المصدر نفسه ص 199.

(22) المصدر نفسه ص 77.

(23) المصدر نفسه ص 77.

(24) المصدر نفسه ص 102.

(25) المصدر نفسه ص 176.

(26) المصدر نفسه ص 176.

(27) المصدر نفسه ص 93.

(28) المصدر نفسه ص 94.

(29) المصدر نفسه ص 160.

(30) المصدر نفسه ص 207.

(31) جاء في البحر المحيط: "وكل من المقدمتين ينقسم إلى موضوع ومحمول. أي: محكوم عليه ومحكوم به. قالوا: والنحاة يسمونهما المبتدأ والخبر. قال المنطقيون: ولا بد من نسبة توسط بين المحمول والموضوع ". البحر المحيط، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي بدر الدين، تحقيق: عبد القادر عبد الله العاني، مراجعة: عمر سليمان الأشقر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، الطبعة الثانية، 1992م، ج1، ص 112.

(32) ينظر:" مَسَائِلِ التَّحْقِيقِيَّةِ فِي بَيَانِ التُّحْفَةِ الآجرّومية " للشيخ أمحمد بن يوسف أطفيش (ت 1914)/ تحقيق: حيدرة رشيد 67 – 207.

(33) ويمكن ملاحظة هذا في النّسخ الثلاث للمخطوط، ولو أنّها في النسخة الثالثة أبين وأوضح.

(34) المصدر نفسه ص 276.

(35) المصدر نفسه ص 190.

(36) المصدر نفسه ص 191.

(37) المصدر نفسه ص 304.

(38) المصدر نفسه ص 135.

(39) المصدر نفسه ص 77.

(40) المصدر نفسه ص 195.

(41) المصدر نفسه ص 195.

(42) المصدر نفسه ص 203.

(43) المصدر نفسه ص 278.

(44) المصدر نفسه ص 263.

(45) المصدر نفسه ص 64-65-322-335.

(46) المصدر نفسه ص 145.

(47) المصدر نفسه ص 130.

(48) المصدر نفسه ص 199-211- 319.

(49) كقوله في شرح بيت من الشِّعر: والميعة بالكسر: النشاط، وقيل: الجري، وهاء "به" للفارس والأطل الخاصرة جمعه تعظيما أو جمع خاصرتين والخُصَل بضم ففتح جمع خصلة الشعر. انظر ص 178 من المصدر السابق..

(50) المصدر نفسه ص 168-174-253-251-367 من البحث.

(51) ينظر الصفحة 247-248 من المصدر نفسه في تفسير قوله صلى الله عليه وسلم: {كَأَنَّكَ بِالدُّنْيَا لَمْ تَكُنْ، وَبِالآخِرَةِ لَمْ تَزَلْ} قال: أي: كأنك تبصر بالدنيا أي: تشاهدها، أي: تشاهد فناءها، أي: تعلمه قد وقع.

(52) ومن أمثلته: تعريف الاسم والحمد والشكر. ينظر المصدر نفسه ص 65-67-68.

(53) المصدر نفسه ص 184.

(54) المصدر نفسه ص 130.

(55) المصدر نفسه ص 96.

(56) المصدر نفسه ص 134.

(57) المصدر نفسه ص 330.